الموسوعة الفلسفية العربية
العرب والعمل الموسوعي
(أحدث نتاج الجهد الموسوعي العربي)

د. أحمد عبد الحليم عطية(*)

تعد الموسوعة الفلسفية العربية التي صدر الجزء الأول فيها 1986 والجزء الثاني بقسميه في نهاية 1988 عن معهد الإنماء العربي ببيروت تتويجاً للأعمال الموسوعية العربية السابقة فهي تتجاوز من حيث السعة القواميس والمعاجم والموسوعات الفلسفية المعروفة لنا والمحدودة بطبيعتها لتقدم لنا من هذين الجزئين وما سيتلوهما موسوعة هي عمدة الموسوعات الفلسفية العربية عملاقة من حيث ضخامة العمل وشموليته واحتوائه على كثير من المواد المتعلقة بأحدث التيارات الفكرية والفلسفية المعاصرة التي لا نجد لها ذكراً في الموسوعات السالفة وهي عملاقة أيضاً من حيث مشاركة ألمع الأسماء العاملة في ميدان الفلسفة في الوطن العربي بغالبية أقطاره. فإذا كان العمل الموسوعي الفلسفي العربي يتحرك ضمن دائرة محدودة هي دائرة الترجمة والتأليف القاموسيّ الضيق مثل: الموسوعة الفلسفية المختصرة، كراسة مصطلحات الفلسفة، المعجم الفلسفي ليوسف كرم وزميليه، المعجم الفلسفي لجميل صليبا، الموسوعة الفلسفية وهي ترجمة عربية للقاموس الفلسفي الصادر عن دار التقدم 1967. المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية (لمحمد عزيز الحبابي وزملائه) المجمع الفلسفي الذي أصدره مجمع اللغة العربية باشراف توفيق الطويل، معجم أعلام الفكر الانساني إشراف مدكور وموسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي، معجم الفلاسفة من اعداد جورج طرابيشي، فإن العمل الموسوعي الفلسفي يدخل بهذه الموسوعة دائرة أوسع. فاضافة الى أنها تخدم الباحث المتخصص والمهتم بالفلسفة شأن الموسوعات المتخصصة والى انها تسد نقصاً بارزاً وواضحاً في الكتابة العربية الفلسفية والمكتبة العربية عموماً فقد جاءت جديدة ومبتكرة في شكلها وقد توخى أصحابها أن تكون مبتكرة أيضاً في مضمونها.

وهذه الموسوعة (كما يقول أصحابها) في مقدمتها: «هي مساهمة في ميدان تخصصنا وفي النهضة الفكرية

(*) كلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

العربية والمشروع الحضاري العربي الجديد». وتبين الحقيقة الجهود المتتابعة وكمّ العمل والصعوبات التي صادفته من أجل اخراجه بالصورة اللائقة، بموسوعة فلسفية عربية تقف على قدم المساواة مع غيرها من الموسوعات، رغم الظروف القاسية التي مر العمل بها ورغم تعدد اللجان التي تغيرت عليها ورغم الأحداث التي تداولت ـ ولا تزال ـ على لبنان أثناء انجاز العمل، ورغم ظروف عدم الاستقرار تلك فقد كان الحماس يخوض تجربة العمل الموسوعي، والايمان بأهمية اصدار موسوعة تمثل التفكير الفلسفي العربي والعالمي كما يتفكره المعاصرون العرب من المشتغلين بالفلسفة هو العامل الأقوى من الدخول في هذه التجربة والمضي فيها رغم الصعوبات الكثيرة.

لقد وضعت خطة متكاملة تقضي بتقسيم الموسوعة إلى ثلاثة أجزاء رئيسة وكل جزء منها مستقل عن الآخر من جهة ومتمم له من جهة أخرى: الجزء الأول للمصطلحات والمفاهيم والجزء الثاني (بقسميه) للمدارس والمذاهب والتيارات الفلسفية والجزء الثالث للأعلام. وقد كانت اللجنة المنظمة للعمل تهدف من وراء هذا التقسيم إلى هدفين:

الأول: هو أن هذا التقسيم يجعل كل جزء من الأجزاء الثلاثة عملاً مستقلاً يحمل في نفسه قيمته المستقلة عن بقية الأجزاء، وربما كان الخوف من عدم التمكن من اصدار أكثر من جزء واحد بسبب عدم الاستقرار الذي يعيشه العرب خاصة في لبنان هو الذي ساعد على اختيار هذا التقسيم. وقد تم اختيار الجزء الأول ليكون خاصاً بالمفاهيم والاصطلاحات، لأن هذا الجزء من المشروع هو الأكثر الحاحاً والأصعب تحقيقاً وتنفيذاً بحيث إذا أنجز سهلت بقية الأجزاء. فإذا حال حائل دون صدور بقية الأجزاء كان الأول عملاً متكاملاً قائماً بذاته يلبي احتياجات الباحث المتخصص.

الثاني: هو أن هذا التقسيم يجعل الموسوعة منفردة ومتميزة بتقسيم أكثر تلبية لمتطلبات الباحث من الموسوعات الأجنبية التي درج معظمها على الجمع بين المفاهيم والمدارس والأعلام فكان الجزء الواحد منها يفقد قيمته في غياب الأجزاء الأخرى. فهذا التقسيم إضافة إلى أنه يجعل من كل جزء عملاً مستقلاً له قيمته شبه المتكامل فإنه يلبّي حاجات ومتطلبات أوسع ويوفّر على الباحث بعض الجهد.

لقد استفاد منظمو العمل في الموسوعة من تقسيم مثيلاتها من اللغات المختلفة من حيث الشكل وكذلك من الاهتمامات المشتركة لدى هذه الأخيرة فإذا كانت الموسوعات الغربية الحديثة تُعطى حيزاً واسعاً لفلسفة العلوم والتيارات الفلسفية المنطقية والحديثة فقد أراد أصحاب هذه الموسوعة ألا تكون بعيدة عن توجهات الموسوعات الفلسفية العالمية، وفي الوقت نفسه ليست هذه النسخة الأخيرة متميزة بلغتها العربية فقط بل جاءت موسوعة متوازنة لا تغليب لاتجاه فلسفي بعينه فيها على آخر، فهي ممثلة للفكر العربي بكل تياراته فقد تطلب أن تكون تناول الاتجاهات المختلفة فيها بطريقة متعادلة إضافة إلى ضرورة أن تتميز بعنايتها بالفكر العربي الإسلامي كما يتضح من مجمل العمل خاصة في الجزء الثاني مثل: الإصلاحية والإصلاحية العربية، الإصلاحية الإسلامية، الأصولية الإسلامية، الحركات الإلحادية في الفكر العربي، التراثية، التوفيقية (فكر عربي)، الداروينية العربية، الدرزية، الرشدية، السلفية والسلفية الجديدة، الشخصانية، الصهيونية علم اجتماع المعرفة عند العرب العلمانية في الفكر العربي، فلسفة الاقتصاد في الفكر العربي، فلسفة النقد عند العرب، فلسفة النهضة (فكر عربي معاصر) المنطق الأصولي، النظرية السياسية في الفكر العربي الحديث.

وقد ترك لكل مساهم أن يضع خطة عمل وأن

يختار منهجه، كما يظهر ذلك عند قراءة مواد الموسوعة التي كتبها ما يزيد عن مائة من أساتذة الفلسفة والمفكرين العرب. ويبدو أن اللجنة قد تدخلت وان كان ذلك في حدود ضيقة جداً ـ وعندما تقتضي الضرورة ذلك بتزييل بعض المواد بإضافة أو ملاحظة بدلاً من التدخل في صلب النص أو تعديله كما يظهر ذلك في عدد من المواد مثل عقيدة، ارهاب، شعب، دهر، تمامية، تناقض، رسالة، تصنيف، حتمية دور، خرافة، ظفرة، تضاد، تراث، مفهوم، أمة، أسرة. كما أن هناك بعض الملاحظات المتعلقة بطريقة الكتابة مثل استخدام الفواصل والحواشي وطريقة الإشارة إلى المراجع، وقد قامت اللجنة المنظمة للعمل بتوحيد ذلك لدى كل الكتّاب بما لا يضيق أو ينقص من المادة المكتوبة إلا في حدود ضيقة جداً. فجاءت كل مادة تحمل طابع كاتبها ومزيلة باسمه منسوبة إليه. أما فيما يتعلق بحجم المواد المختلفة وفئاتها فهي تقسّم المواد الى ثلاث فئات رئيسة؛ وقد جاءت أحجام هذه الفئات في الجزء الأول مغايرة للجزء الثاني وذلك بسبب اختلاف طبيعة موضوعات الجزأين، وقد جاءت فئات الجزء الأول على الشكل التالي: الفئة الأولى وهي مخصصة للمواد المهمة والأساسية وهي تتراوح بين ستة آلاف وعشرة آلاف كلمة والفئة الثانية وهي التي تأتي بعد الأولى في الأهمية وتتراوح بين الثلاثة آلاف والستة آلاف كلمة والفئة الثالثة هي ما دون الثلاثة آلاف كلمة، هذا فيما يتعلق بالجزء الأول حيث نجد من مواد الفئة الأولى: أخلاق للدكتور عادل العوا بجامعة دمشق، الله للدكتور أحمد عبد الحليم، انثربولوجيا لعايدة كنفاني وادوار القش وانسان كامل، لسعاد الحكيم وإيديولوجيا لرشيد مسعود، تاريخ وقد كتبها العروي ونفس المادة كتبها ايضاً على اومليل وتصوف (التفتازاني) وجدل (محمد الزايد) وعلم، فلسفة كريم متى ومنطق (عادل فاخوري) ومعرفة شارك فيهما جورج زيناتي وعادل ضاهر وموت رشيد مسعود.

اما مواد الفئة الثانية فمن امثلتها: ابداع، خلق، للدكتور عبد الحليم محمود السيد مع اضافة غير موفقة لاحد اعضاء تحرير الموسوعة، اتصال، احتمال، اعتقاد، تأويل تناقض وقد كتبهما اثنان مع ملحوظة واضافتين. ومن مواد الفئة الثالثة آخر وكتبها رشيد مسعود، آن وكتبها مجاهد عبد المنعم، أزل، ابد لعاطف العراقي، اتحاد للتفتازاني، عقيدة احمد عبد الحليم. اما احجام الفئات الثلاثة من الجزء الثاني فقد جاءت على الشكل التالي: الفئة الاولى من عشرة الاف الى خمسة عشر الف كلمة والفئة الثانية من ستة آلاف وخمسمائة كلمة الى تسعة آلاف كلمة والفئة الثالثة من ثلاثة الاف وخمسمائة كلمة حتى خمسة الاف كلمة. وامثلة مواد الفئة الاولى: الاشتراكية والاشتراكية العلمية التوماوية، الحدسية، الرشدية، الليبرالية، المسيحية، النقدية، والفئة الثانية مثل: الاتجاهات المتأخرة في فلسفة العلوم، اخوان الصفا، الاشراقية، التجريبية التجريدية (في الفن) التعددية، التوفيقية (فكر عربي معاصر) الجمالية، الحتمية، الخلدونية، الشخصانية، القومية، الكلامية، ومن امثلة مواد الفئة الثالثة: الالية، الابيقورية، الارادية، الاصلاحية والاصلاحية العربية، الافلاطونية، الالحاد، الاناوحدية، الانطولوجيا، البابية والبهائية، الباطنية، البوذية، التحليلية، التصورية، التطورية، التوتالتيارية، الجبرية، الصهيونية... الخ

يعترف العاملون على تحرير الموسوعة بما فيها من بعض الثغرات نتيجة لكل الصعوبات التي واجهتهم، لكنهم لم يروا تأخير اصدار هذا الجزء لتلافي هذه الثغرات، ذلك انه من المهم بمكان ان يصدر هذا الجزء فتصبح الموسوعة الفلسفية حقيقة واقعة بالفعل وبعد ذلك يمكن تلافي الثغرات في الطبعات اللاحقة. ويمكن القول اننا اذا قارنا بين هذين الجزئين من الموسوعة والموسوعات الفلسفية العالمية لوجدنا ان

موسوعتنا تحتاج الى تلافي بعض الثغرات، ولكن اذا تذكرنا ان وراء الموسوعات الاخرى عشرات السنوات تزيد على المائة سنة في بعض الحالات، واذا تذكرنا الامكانات الضخمة المالية والبشرية التي تقف وراء تلك الموسوعات، ثم اذا نظرنا الى الموسوعة الفلسفية العربية لوجدنا انها عمل ريادي يحاول ان يؤسس تقليداً فلسفياً عربياً هو تعبير عن جانب مهم من ثقافتنا الراهنة فالجزء الاول والثاني - اللذان نتناولهما بالتحليل والعرض - يضما المقالات التي صاغتها أقلام اساتذة وباحثين في جميع الاقطار العربية تقريباً هم وجه بارز من وجوه ثقافتنا العربية الجديدة.

ويهمنا ان نتوقف أمام العمل بالعرض والتحليل لبيان ما جاء به من رؤوس موضوعات، وسعته، ومن شارك فيه من اعلام ونوعية المواد التي تناولها والعلاقة بينه وبين الاعمال الموسوعية السابقة في العربية. وبداءة العمل ضخم تتضح ضخامته من عدد مواد الجزء الاول الذي يصل الى حوالي 350 مادة في (849) صفحة مع فهرس برؤوس المواد موزعة على حروف المعجم ويصل عدد مواد الجزء الثاني بقسميه الى 163 مادة عن المدارس والمذاهب والاتجاهات والتيارات يضم القسم الاول 88 مادة من حرف الالف الى حرف الشين من 805 صفحات ويشمل القسم الثاني 75 مادة من الصاد حتى الياء من 768 صفحة مع فهرس برؤوس المواد في نهاية القسم الثاني ومقدمة هامة او دراسة تمهيدية توضح خطة العمل وتوجهاته كتبها معن زيادة رئيس تحرير الموسوعة تحت عنوان «الفلسفة العربية الحديثة بين الابداع والاتباع» يهمنا ان نشير الى ما جاء فيها لنلقي الضوء على نتيجة هذا العمل.

لا تقتصر هذه الموسوعة على الفكر الفلسفي العربي وانما تتسع لتشمل الفكر الانساني في اتجاهاته الكبرى منذ فجر الحضارة حتى يومنا هذا من وجهة نظر نخبة من مفكرين وباحثين يمكن اعتبارها ممثلة لكل المفكرين العرب «ولم يكن لهذه الموسوعة ان تبصر النور بشكلها الراهن لولا هذه الاسهامات الاصلية من جهود المشتغلين بالفلسفة في الوطن العربي وهي الجهود التي ظهرت تباشيرها الحديثة في العودة الى الاهتمام التدريجي بالفلسفة مع اواخر النصف الثاني من القرن الماضي. وليس العمل الفلسفي الذي أخذت معالمه بالتبلور في النصف الثاني من قرننا سوى الامتداد النوعي المتطور لجهود المفكرين العرب في القرن الماضي والذي يشكل القاعدة التي يقوم عليها صرح الفلسفة في البلاد العربية اليوم.

ويتناول رئيس تحرير الموسوعة بيان هذه الجهود من خلال عرض نقدي لتصنيف جميل صليبا للتيارات والاتجاهات الفلسفية في الوطن العربي حيث يقدم لنا سبعة اتجاهات اساسية هي: تيار الفكر المادي ممثلاً بفكر شبلي شميل الذي يمكن ان نطلق عليه اسم الداروينية العربية حيث يتدرج في عدادها مفكرون اخرون من امثال سلامة موسى واسماعيل مظهر وغيرهما. والتيار الثاني هو تيار العقلانية كما فهمها محمد عبده ومحمد فريد وجدي وان كان موقفهما اقرب الى الموقف الديني منه الى الموقف العقلاني ويتدرج في هذا الاتجاه العقلاني المزعوم موقف يوسف كرم وشارل مالك واكثر اساتذة الفلسفة من الجيل السابق يدخلون في عداد هذا النمط من العقلانية. اما التيار الثالث فهو تيار المثالية وتدخل في هذا التيار وجدانية العقاد وجوانية عثمان امين ورحمانية زكي الارسوزي.. أما التيار الرابع فقد مثلته المدرسة التكاملية في علم الاحياء ولا سيما تكاملية يوسف مراد والتيار الوجودي هو خامس هذه التيارات خاصة لدى عبد الرحمن بدوي والتيار السادس هو تيار الشخصانية الذي اراده اصحابه رداً على الوجودية من جهة وعلى الماركسية من جهة أخرى ونادى بهذا التيار

مفكرون معادون للماركسية والوجودية على السواء من امثال رينيه حبش ومحمد عزيز الحبابي وغيرهما، والتيار السابع والأخير هو تيار الاتجاهات العلمية لدى يعقوب صروف واسماعيل مظهر ويمكن اعتبار زكي محمود احد المفكرين العرب القلائل الذين صاغوا موقفاً فلسفياً واضحاً أهم اعلام هذا التيار.

هذه هي التيارات التي يشير اليها صليبا عرض لها المحرر عرضاً نقدياً وهو يؤخذ على هذا التصنيف انه غير شامل يقف عند حدود الفترة الزمنية التي وضع فيها من جهة، ويهمل تيارات فلسفية وفكرية عرفها الفكر العربي الحديث منذ مطلع القرن الحالي كالتيار القومي والتيار الاشتراكي والتيار الماركسي من جهة أخرى يضاف الى ذلك انه تصنيف غير نقدي، لا يشير الى الاهمية الفلسفية التاريخية لكل تيار من هذه التيارات وما إذا كانت هذه التيارات قد قدمت حلولاً لمشكلات وتساؤلات فلسفية اساسية تواجه المجتمع الذي ظهرت فيه ام انها كانت مجرد تمارين ذهنية للمنادين بها والداعمين اليها. واوجه النقد التي يقدمها المحرر الى تصنيف صليبا هي نفسها ما تحاول ان تتلافاه الموسوعة وتكمله يقول «وليس غرضنا هنا تعدد المدارس والاتجاهات والتيارات التي يمكن أن تضاف الى التصنيف السابق ذلك ان هذا القسم من الموسوعة يتضمن الحديث عن هذه المدارس والتيارات وغيرها. الا ان الاهم من ذلك هو الحديث عن هذه التيارات والمذاهب في علاقاتها بعضها ببعض وفي علاقتها بالبيئة التي ظهرت فيها والظروف التي اسهمت في تكوينها والشعوب التي قدمت اليها»، فالواقع ان تكون الوعي الفلسفي على اتصال مباشر بالتاريخ فنحن قلما نستطيع أن نقبل أي صيغة فلسفية أذا كانت منفصلة عن الوقائع التاريخية. لهذا يقترح رئيس تحرير الموسوعة تصنيفاً جديداً للتيارات والمدارس والمذاهب الفلسفية في الفكر العربي الحديث. تصنيف ثلاثي يأخذ من حسابه العلاقة الجدلية بين الفكر العربي والفكر الاوروبي والغربي الحديث وهو تصنيف يقوم على ثلاثة اطراف رئيسة: فريق يرفض الفلسفة الاتية من الغرب وفريق يقبلها وفريق يقوم بالتوفيق مقدماً مركباً فكرياً جديداً قد يحمل آفاق حل أو افاق خروج من المأزق. والحقيقة ان ما يعتبره المحرر تصنيفاً جديداً هو امر شائع تقليدي اشار اليه حسن حنفي وزكي نجيب وغيرهم وارى ان المقصود بعبارته تصنيفاً جديداً يختلف عن تصنيف صليبا، واطرافه الثلاثة هي:

الاول يمثل التيار الذي يضم كل المذاهب والاتجاهات الفكرية التي تعارض الأخذ عن الغرب بدءاً من السلفية الوهابية وانتهاءً بالحركات الاصولية الجديدة وهذا الفريق يرى في الثقافة الغربية خطراً دهماً يتهدد الفكر العربي والفكر الاسلامي على السواء، كما نجد في المهدية في السودان والسنوسية في ليبيا وحركة الامير عبد القادر الجزائري في الجزائر اضافة الى حركات ورجال اصلاح كثيرين امثال جمال الدين الافغاني ورشيد رضا وشكيب ارسلان وآخرين. وكان الخطر العربي هو العامل الاساسي الذي دفع بالمفكرين الأصوليين الى مناهضة الفكر الغربي عموماً والفلسفي منه على وجه الخصوص، ومن هنا كان اهتمام المشتغلين بالفلسفة من هؤلاء محاولة تأصيل الفلسفة العربية الإسلامية. وكان ذلك على يدي الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» وسار على خطى عبد الرازق تلميذه على سامي النشار الذي اعتبر فلسفة مفكري علم الكلام وأصول الفقه الفلسفة الإسلامية الحقيقية ويعتبر حسن حنفي رائداً لهذا الاتجاه الأصول في الفلسفة العربية الإسلامية وقد أشار الى ذلك في مقدمة كتابه الجديد من «العقيدة الى الثورة» الذي حاول فيه ان يقرأ الحاضر من خلال الماضي وان يصوغ بناء علم الكلام او علم اصول الدين القديم على ضوء الظروف الراهنة مقدماً بذلك ايديولوجية

جديدة للشعوب الاسلامية تحاول بواسطته مواجهة التحديات العصرية الاساسية.

الفريق الثاني يضم جميع المدارس والمذاهب والاتجاهات التي تمثل تيار التوجه نحو الغرب وتبني افكاره واخذ ثقافته ونقلها. وهو تيار لا يتحاور مع الثقافة العربية ولا يعتبرها الاساس الذي يجب ان يبنى عليه ما نقتبسه ونفيده من الغرب يصدق هذا على التيار المادي كما تبناه شميل كما يصدق على وجودية بدوي ووضعية زكي نجيب محمود المنطقية وما يصدق على هؤلاء يصدق على بعض الماركسيين العرب ولا سيما ابّان المرحلة التالية الذين لم يحاولوا تبني اي نهج ماركسي مرن وملائم بل تبنوا الماركسية كعقيدة جامدة وبدلاً من ان يقدموا ماركسية عربية كانوا مقلدين منفصمين عن واقعهم ومجتمعهم لا يختلفون كثيراً عن التغريبيين من المفكرين.

والفريق الثالث والاخير يضم جميع الاتجاهات والتيارات التوفيقية في الفكر العربي، والواقع ان التيار القومي العربي وما تلاه من حديث عن الاشتراكية العربية يدخل في عداد الفكر التوفيقي، والتوفيقية تشكل تياراً اساسياً في الفكر العربي الحديث بل يمكن القول ان اكثر اتجاهات هذا الفكر هي اتجاهات توفيقية. فقد كان رفاعة الطهطاوي الشخصية الرئيسية في النهضة الفكرية اول مفكر عربي يقدم صياغة واضحة وواعية لهذا التيار وكان خير الدين التونسي الشخصية الرئيسية الثانية في تيار التوفيق في حياتنا الفكرية الحديثة، فقد عبّد هذان المفكران الطريق للتوفيق العملي السياسي والنظري والفلسفي على حد سواء فكانا بذلك الرائدين الفعليين للتوفيقة كما ظهرت بعد ذلك في الفكر القومي العربي حتى غدت التوفيقية التيار الاساسي في الفكر العربي في تجلياته المختلفة.

والموسوعة التي نعرض لها الآن تؤكد هذه الحقائق: فمن جهة اولى تبين وحدة المعرفة البشرية فقد جاءت عملاً متكاملاً جامعاً يقدم اهم نظريات الفكر البشري واتجاهاته. كما تبين ان الثقافة العربية كانت وما زالت على اتصال وثيق بثقافات الامم والشعوب الاخرى، كما تبين من جهة ثالثة ان التوفيق بمعنى الأخذ من ثقافات الشعوب ما يؤخذ مع ثقافة اخرى وتطويره وتعديله هو نهج مشروع وقد يكون ضرباً من الابتكار واجتراح الحلول، هذا هو طريق التحول الثقافي الذي يثبت ويؤكد استمرار الثقافة القومية على قيد الحياة. وهذا العمل يبين اضافة الى ذلك ان عناصر الابداع والابتكار في الفكر الفلسفي الحديث ما زالت محدودة وان الصياغة الفلسفية العربية ما زالت متعثرة وان اكثر ما تنتجه في ميدان الفلسفة هو نقل وترجمة أفكار الآخرين ويرى ان سبب ذلك يرجع الى مناهجنا التربوية والتعليمية التي تلقن ولا تثقف وليس فيها ما يشجع التفكير الحر المنتج المبدع، ان برامجنا تخرّج مستهلكي علم ومعرفة لا منتجي علم ومعرفة. أما مناهج تدريس الفلسفة فكانت وما زالت تهيمن عليها النزعات المثالية والغيبية وما زالت تدرس تاريخ الفلسفة على انه الفلسفة وتدرس افكار افلاطون والقديس توما وابن سينا والغزالي وديكارت وكأنها افكار لعصرنا ولكل العصور. وقد يكون السبب في ذلك عملية الفصل التي تقام عادة بين دارس الفلسفة العربية الاسلامية ودارس الفلسفة الغربية الحديثة. فالذين يعرفون التراث لا يعرفون الحداثة والذين يعرفون الحداثة لا يعرفون التراث.

الا ان ثمة أسباباً في حياتنا العامة تعيق الابداع والابتكار عموماً بما في ذلك الابداع في ميدان الفلسفة ولعل أهم هذه الاسباب أننا ما زلنا في حالة تخلف عام. ومن هذه الاسباب أيضاً غياب الروح الديمقراطية واجواء الحوار والحرية الصحيحة عن حياتنا العامة ولا سيما حياتنا السياسية فإذا كنا معنيين

بالفلسفة والابداع الفلسفي وإذا كنا مسؤولين عن انتاج فلسفي جديد يعبّر عن ذاتنا وعن واقعنا وعن ثقافتنا فاننا معنيون بالحرية. وليس التشديد على هذه العوامل بقصد التبرير واعفاء المشتغلين بالفلسفة من مسؤولياتهم في ميدان نشاطهم او تغطية الهنّات التي نجدها في هذا العمل وهي كما يقول المحرر هنّات هنينات مما نجده عادة في كل عمل كبير من هذا النوع. والحقيقة وتأكيداً لهذا المعنى وبوصفي من المشاركين في اجزاء الموسوعة الثلاث واعمالاً للنقد الذاتي اشير في عرض لبعض هذه الهنّات الهنيات في هذا العمل الموسوعي الذي يتسم بالاحاطة والشمول.

وبجانب سمة الاحاطة والشمول وبجانب الحرص على معالجة اهم المصطلحات التقليدية فإن الموسوعة تمتاز بالتركيز على المفاهيم النظرية المتعلقة بخصوصيتنا كأمة عربية تسعى لبعث واحياء نهضتها، فتتوقف الموسوعة امام مفاهيم مثل: اجتهاد، التزام، امة، انتاج، انتماء، تراث، تطور، تقدم، ثورة، جدل، حركة، حركة اجتماعية، حرية، حضارة، حكم (في السياسة) حياة، دولة، رسالة، سلطة، سياسة، شعب، شك، صيرورة، طاقة، طبقة اجتماعية، عدل عصبية، عقل، عمل، فعل، قانون، قدرة، قوة، كرامة، مسؤولية، مصير، هوية، واقع، وجود، ولاء، من الجزء الاول، واشتراكية، اصلاحية، اصولية، تراثية تطورية، تعددية، تنويرية، توفيقية، حتمية، خلدونية الداروينية العربية، الرشدية، الرشدية اللاتينية، الريبية، الصهيونية، العلمانية العلمانية في الفكر العربي، القومية، الليبرالية، النظرية السياسية في الفكر العربي الحديث وغيرها من الجزء الثاني.

كما انها تهتم بالتركيز والاكثار من تتبع المفاهيم الفلسفية المرتبطة بالفكر الاجتماعي والسياسي مثل مواد: امة، انتاج، انتماء، عصبية، الثورة، ارهاب، حياد، شعب، عنف، والمقالات الاربعة الاخيرة يكتبها ادونيس العكرة، ويكتب قيس النوري عن حركة اجتماعية، اسرة، تفاعل، جماعة، طبقة اجتماعية، ويقدم لنا جورج زيناتي مقالة عن مفهوم الحرية ومصطلحات اخرى من قبيل: اختيار، ارادة، استقلال، التزام، ويتناول عبد الغني غنوم مفهوم: حكم في السياسة، وشرعية، ويكتب موسى وهبة عن: سلطة، سياسة، نظام ويفسره تفسيراً اجتماعياً وسياسياً.

كما تمتاز الموسوعة باهتمامها بالوقوف طويلاً امام المفاهيم الاكثر حداثة التي أتت بها الاتجاهات المعاصرة والحالية التي لا زالت في طور النشأة والتحديد في الغرب خاصة تلك التي تتعلق بما بعد البنيوية وتفريعاتها الاكثر معاصرة واللغويات والالسنية في فروعها المتعددة الرمز والدلالة وغيرها فتكتب امينة غصن عن: ألسنية، دلالة، وتحدثنا عن رولان بارت ودي سوسير وجاكبسون وجولن كريستيفا كما تكتب عن مصطلح علامة ويكتب عادل فاخوري في نفس الاتجاه عن الاشارة وجورج كتورة عن مفهوم الرمز.

وتتوزع بقية مقالات الموسوعة حول محاور اساسية تتعلق بفروع او مباحث الفلسفة التقليدية وما يرتبط بها من علوم مثل علم النفس والمنطق والاخلاق وفلسفة العلم والتصوف وعلم الكلام والفقه واصول الفقه ويشارك كل متخصص بمقالات تنتمي الى تخصصه الاساس الذي قدّم فيه معظم كتاباته وعرف من خلاله ففي المنطق مثلاً وفلسفة العلوم نجد اسماء صلاح قنصوة ومحمود زيدان ومراد وهبة وعادل ضاهر وتوما مهنا وعادل فاخوري وتتكرر بعض هذه الاسماء في الجزء الثاني ويضاف اليها ماهر عبد القادر من مصر وسالم يافوت من المغرب. وبالاضافة لفلسفة العلم نجد الجابري يكتب عن السنيوسية والهرمسية

وعلي اومليل يكتب تاريخ (جـ١) والخلدونية (جـ٢) ومحمد عزيز الحبابي يكتب عن الشخصانية ويكتب احمد صدقي الدجاني عن الصهيونية وجورج طرابيشي عن الإلحاد، العلمانية، ويكتب عادل العوّا المقالات المتعلقة بالأخلاق: اخلاق، فضيلة، كرامة، شرف، (جـ١) والطبيعية الأخلاقية وفلسفة الأخلاق، ومذهب اللذة (جـ٢) ويكمل احمد عبد الحليم نفس الاتجاه يكتب عن: الخير، شر، حب، غاية ووسيلة ويكتب كريم متى واجب ومحمد الزايد مادة قيمة ويكتب إمام عبد الفتاح إمام مادتي هيجلية وهيجيلية جديدة ويكتب التفتازاني مواد التصوف وكذلك سعاد الحكيم كما يكتب العراقي بعض مواد الفلسفة الاسلامية وعزت قرني ما يتعلق باليونانيات، ويختص كل من رالف رزق الله وعبد الحليم محمود وعلي زيعور وعبد المطلب الحسيني وكمال بكداش بمواد علم النفس.

وهناك بعض الملاحظات على مواد الجزئين اهمها اغفال بعض المصطلحات والمفاهيم، او المدارس والاتجاهات الاساسية داخل الاطار الذي تتحرك فيه الموسوعة فقد اغفلت اهم مدارس الفلسفة الامريكية مثل الزرائعية البراغماتية والواقعية او الواقعية الجديدة في امريكا وانجلترا؛ صحيح ان هناك خمس مواد من الواقعية كتبها فيصل دراج الا ان المقصود بها الواقعية الاشتراكية او الواقعية في الفن وليس بينهما ما تعارف عليه الواقعية بالمعنى الفلسفي كتب عن جميع الفلسفات الخاصة بالعلوم مثل: فلسفة التاريخ، فلسفة الحياة، فلسفة الدين، فلسفة الطبيعة، فلسفة العلوم باستثناء فلسفة القيم. ثانياً التوسع في معنى بعض الملاحظات حتى تنتقل من مجال الفلسفة الى مجال مختلف او بمعنى ادق هناك مقالات اقرب الى الفن وتاريخ الفن والمذاهب الفنية منها الى الفلسفة مثل جميع المواد التي كتبها محمود امهز: الانطباعية، التجريدية، التعبيرية، التكعبية، الدادئية، الرمزية، الرومانسية، السريالية فكلها تنتمي الى الفن والفن التشكيلي بالتحديد كما يتضح من محتويات

بعض المواد تناوله اكثر من كاتب واحد وتلك ميزة هامة كنا نتمنى لو تعمم فقد كتب سالم حميش ارادية وكتبها ايضاً جورج زيناتي. وكتب تجريبية كل من مراد وهبة ومحمود زيدان وهما مدرستان مختلفتان؛ كما كتب محمد مدين مادة تحليلية وكتب مراد وهبة مادة فلسفة التحليل وكتب مادة التوتاليتارية وضاح نصر وكتبها ايضاً خضر زكريا. والريبية كتبها حمادي بن جاء بالله وانطون خوري. وكما كنت اتمنى من بعض المواد ان يكتب اكثر من استاذ مثل شخصانية التي كتبها الحبابي الذي يدعوا الى هذا الاتجاه كم كان مفيداً ان يكتب نفس المادة من وجهة نظر مخالفة ونفس الامر مع مادة الهجيلية التي كتبها امام عبد الفتاح امام. ويلاحظ اغفال الموسوعة ذكر اسماء بعض المساهمين في صدر صفحتها الخاصة بالمشاركة مثلما حدث في الجزء الاول حين لم نجد اسم عبد الحليم محمود السيد وان كان موجوداً في نهاية مادتيه التي كتبهما. ورغم هذه الملاحظات او الهنّات الهينات يحق القول أننا أمام عمل ريادي يحاول ان يؤسس تقليداً فلسفياً عربياً هو تعبير عن جانب مهم من ثقافتنا العربية الراهنة. فالعمل الذي بين ايدينا يضم مئات المقالات التي صاغتها اقلام اساتذة وباحثين من جميع الاقطار العربية هم وجه بارز من وجوه الثقافة العربية الجديدة.

* * *